"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

تأويل المصطلحات النحوية في قصيدة حرف الراء من ديوان مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد

إعداد:
الدكتور الشيخ عثمان أحمد
المحاضر بقسم اللغة العربية جامعة بايرو، كنو – نيجيريا

ملخص البحث:

يتمتع الأدب الصوفي بألفاظ وعبارات ذات تجربة روحية حساسة , وذوق نفساني عميق، مما جعل هذه الألفاظ والعبارات – في أغلب الأحيان – ذات دلالات متنوعة ، وقابلة لكثير من التأويلات، الأمر الذي أتاح للصوفية الفرصة بأن يؤولوا النص من معناه الأصلي والإتيان بمعان ثانوية من فضاء الفكر الصوفي مما يناسب سيرهم وسلوكهم، فتصبح لكلمة أو جملة دلالة خاصة لهم. ومن بين هذه الدلالة تحويل مصطلحات نحوية إلى معان صوفية تحتاج إلى دراسة عميقة، لفك هذه الرموز من معانيها اللغوية إلى معان ثانوية صوفية. تسعى هذه الورقة إلى تتبع تلك الكلمات ذات المعاني التورية الصوفية في هذا الديوان بالتحليل الأدبي لإبراز مزاياها الفني، ومحاولة مسخ الغبار عما يقوله بعض المعاصرين عن هذا التأويل أو الإشارة أوالرمز الصوفي، آلا أنه تكلف من الشاعر. وللوصول إلى هذا الهدف وضعت المقالة خطتها على النحو التالي:المقدمة، خلفية تاريخية عن الشاعر وكذلك مضمون القصيدة ، ثم المعنى والتأويل حسب ورودهما في الديوان، ثم الخاتمة والهوامش والمراجع.

ABSTRACT

Sufi literature is indeed rich in words and expressions containing delicate spiritual experience, and deep psychological appreciation,. This makes these words and expression.-dominantly-availing the sufists the avenue to interpreted the text figuratively in line with the sufirealm, and in consonance with their norms and attitudes, giving the term a new specified meanings related to their domain:- This include grammatical terms interpreted from sufi perspective, requiring a deep study, thus the paper aims at conducting a literary study of

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

these technical words with sufi connotation in the anthology, with a view of uncovering its artistic advantages, in a rejoinder to some modern critics who claim that the poet uses these interpretations by way of mannerisms; to attain its objectives the paper is set in the following sub-themes: introduction, Background on the author and the anthology, meaning and interpretation in the anthology, conclusion, and notes and references.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا ونبينا سيد الأولين والآخرين، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، وعلى آله وصحبه أصحاب الكرامات الظاهرة والفصاحات الباهرة.

أما بعد؛ فالمدائح النبوية باب كبير من أبواب الشعر الصوفي، وركن أساس ورصين من أركانه , وقد قال فيه الشعراء – في مختلف العصور – الكثير، وأجادوا إجادة بارعة، ولا ينسى التاريخ الإسلامي ما قام به الصوفي الجليل الإمام البوصيري، والإمام يوسف النبهاني، والإمام البرعي في هذا المجال، وقد وجد في غرب إفريقيا ممن سلكوا مسلك هؤلاء الفطاحلة ونهجوا طريقهم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. منهم الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي السنغالي، الصوفي، والذي خلّف وراءه ديوانه المشهور "نزهة الأسماء والأفكار في مديح الأمين ومعاني المختار" ، وهو مجموع دواوينه الستة في مدح الرسول، وديوانه "مناسك أهل الوداد"واحد من مجموع هذه الدواوين الستة.

نبذة وجيزة عن الشيخ

هو الشيخ إبراهيم إنياس بن الحاج عبدالله الكولخي، يكنى بأبي إسحاق، ولد يوم الخميس ١٥/رجب/١٣٢٠هـ = ١٨/١٠/١٩٠٠م في قرية طَيْبَ أَنِيسَ.(١)

نشأ الشيخ في كنف والده الذي تولى كفالته وتربيته وتعليمه , حتى حفظ القرآن الكريم، وأتقن العلوم الدينية والعربية.(٢) ويقال إن الشاعر كان يختم القرآن الكريم مرتين في كل أسبوع، ختمة عن ظهر قلب ليلا، وأخر نظرا في المصحف نهارا.(٣)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

ومن إسهاماته ما أفتى به من إبقاء مقام إبراهيم على مكانه، حينما اقترح مفتي المملكة السعودية على نقل رابطة العالم الإسلامي بأن ينقل مقام إبراهيم لغرض توسعة المطاف، فألف الشيخ كتابه "سبيل السلام في إبقاء المقام"، فذكر حججه وأدلته، فرجعت الرابطة عن موقفها.(٤)

وبعد حياة حافلة بالعطاء الفكري والثقافي، انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى في الخامس عشر من رجب عام ١٣٩٠م-١٩٧٥م.(٥)

ديوان "مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد".

وهو الديوان السادس من مجموع الدواوين "نزهة الأسماع والأفكار في مدح الأمين ومعاني المختار". يحتوي على تسعة وأربعة وأربع مائة بيت (٤٤٩) على اختلاف القوافي للأبيات، ونظمه الشيخ على بحر الطويل، واتخذ طريقة الأبجدية في بداية كل قصيدة، مما جعل النظام نظاما منطقيا، بدأ بحرف الألف ثم الباء، ثم الجيم، وهكذا إلى آخر القصيدة. خصصه الشاعر بمدح حبيبه صلى الله عليه وسلم ولم يستطرد فيه لمدح أحد من شيوخه في الطريقة أو غيرهم .

واختارت المقالة قصيدة حرف (الراء)(٦) لورود هذه المصطلحات النحوية فيها والتي افتتحها بقوله:

أمن ذكر خير الخلق وهو منير سما لك شوق لات حين تسير

وهي تحتوي على اثنين وسبعين بيتا (٧٢).

المعنى الأصلي والتأويل في المستوى اللغوي والاصطلاحي.

المعنى الأصلي كما يبدو من المنظور اللغوي، هو اللفظ الذي حمل على معناه الظاهر الذي ينساق إليه بدون صرف عن ظاهره، فيتقيد اللفظ على وضعه الأصلي الذي وضعه الواضع، فيفيد معناه الأصلي. وقال بعض علماء اللغة : لايقال عنيت بحاجتك إلا على معنى قصدتها , من قولك عنيت الشيء أعنيه , إذا كنت قاصدا له, ويقال أيضا عنيت فلانا عنيا , أى قصدته , ومن تعني بقولك؟ أى من تقصد ؟ ويقال : عرفت ذلك في معنى كلامه ومعناة كلامه , وفي معنى كلامه . (٦) أما التأويل فقد جاء في المراجع اللغوية في مادة (أول) تأويل وهو الرجوع إلى الشيء، وفسر أول الكلام

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

وتأوله: دبره وقدره.(٧) وفي الاصطلاح: نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.(٨)

وجاء في حاشية السيد الشريف الحسيني الجرجاني على كتاب الكشاف: "... وتأويله أن يصرف خلاف ظاهره لأمارة تدل عليه".(٩) فهو – إذا – استحضار المعنى الضمني بالرجوع إلى المعاني الظاهرة ، إلى السياق على ما تفيده الكلمة في رحابها اللغوي، ليكون ذلك تقريبا إلى ذهن القارئ.

فإنتاجات الصوفية سواء شعرا كانت أو نثرا تأتي نتيجة الذوق الروحي، فتحمل معان عميقة، ورؤية نفسانية، بعد تدريبات وجدانية مما قد لا يستطيع اللفظ إبراز هذه المعاني الروحية، ومن ثم يؤولونه من معناه الظاهر والإتيان بمعنى ثان من فضاء الفكر الصوفي الذي يناسب مع سيرهم وسلوكهم. "فالصوفيون بعد النظرة الأولى للنص (اللفظ) يعودون للمرة الثانية ويستخرجون منه معان غريبة بعيدة عن المعنى الأساس للنص (أو اللفظ) ويعرف هذا النوع بالتأويل الصوفي، وهو يعني نقل الكلام من الظاهر إلى الباطن باعتماد نوع من الإشارة".(١٠)

وذلك لأن اللغة عندهم تكونت من منظور صوفي خاضع لسلسلة من الاستعدادات والممارسات الخاصة. "... فالنص لا يكون بعد إجهاد عقلاني وتخطيط إنشائي مسبق، بل من إجهاد استعداد روحي وراء النظر العقلي،... ولأن الكلمة أو الشيء عندهم لا يماثلان الدال والمدلول، بل هما يستمدان معناهما من خلال التمثيل الثقافي، وهذا التمثيل هو الذي يطابق الدال والمدلول بالكلمة أو الجملة".(١١)

لاشك أن هذا التمثيل الثقافي، إنما يطبق خارجا على اللغة الأصلية، ومثلوا على ذلك بكلمة (الجوع)، فهي "كلمة عربية ومفهوم اقتصادي له أسبابه، ومصطلح سياسي، ويمكن أن يكون مجازا أدبيا. أما عند الصوفية فمصطلح له أركانه وأسلوبه وغايته، فهم – الصوفية – يأخذون نتيجة الكلمة لينطلقوا إلى مجال آخر، فالجوع عندهم وسيلة للتقرب في الله تعالى، وهو أحد أركان المجاهدة".(١٢)

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

أما وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي قد لا توجد في الرموز الصوفية، فإن كلمة الجوع لا تعطي من قريب أو بعيد معنى مجاهدة النفس، وعلى هذا "من العبث البحث فيه (الأدب الصوفي) عن قرينة لفظية مانعة من إرادة المعنى الظاهري، وتتجاوزه إلى المعنى الرمزي، فالقرينة لا توجد إلا نادرا، وبذلك تبقى شخصية الصوفي ذات الاعتبار والعنصر المهم الذي تعتمد عليه العلاقات الرمزية".(١٣)

ولعل هذا من الأسباب التي جعلت الصوفية يفضلون التأويل، فيعبرون عن أحاسيسهم بهذه المدلولات تقريبا إلى أفهام الناس إلى ما يجدونه من الأذواق.

وعلى أي حال، فالكلمة أو الجملة تأتي على حالتين، الأولى حالة اكتشاف معنى الكلمة أو الجملة من حيث أنها مكونة من مدلول لغوي قاموسي ، والثانية من حيث ورودها مؤولة إلى معنى ثان، يمكن للقارئ الغوص فيها والانسياق وفكها على نحو تترابط فيه الأمور وتتدعى.(١٤)

على أن هذا الاستعمال المؤول من المعنى الأصلي لم يسلم للنقد، فقد اتهم بعض النقاد الصوفية بالمبالغة والتكلف، وحمل اللغة على ما لم توضع لأجله، وهو تأويل بدون أي مبرر لغوي(١٥) ويرى الكاتب أن مثل هذه التأويلات – ولاسيما في المصطلحات العلمية – غالبا ما تعتمد على المشابهة بين الدال والمدلول، فالمجازات اللغوية تلعب دورا مهما جدا في هذا التنقل الدلالي من الظاهر إلى الباطن.

فالمبتدأ والخبر مصطلحان نحويان، فالأول هو الاسم المرفوع العاري عن العوامل اللفظية، والثاني هو الاسم المرفوع المسند إلى الأول، بينما نظر الصوفية إلى المعنى اللغوي لهذين المصطلحين النحويين ، فقاسوا على هذا، فقالوا: المبتدأ به والمنتهى إليه هو الحق سبحانه وتعالى، فـ(هو الأول والآخر والظاهر والباطن).(١٦)

المعنى والتأويل حسب ورودهما في الديوان

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

في ضوء ما سبق من أقوال الباحثين، وعلى نسج كل تلك الخطوط التأويلات، تسير هذه المقالة، وتأخذ منهجها في وصف بعض أبيات هذا الديوان، وصفا لظاهر النص حينا، وفك غموضه ورموزه الباطني حينا آخر.

وقد وردت بعض المصطلحات النحوية في الديوان رمزا وإشارة وتلويحا لمعان عجزت اللغة الصريحة عن إفصاحها وإبرازها، على نحو ما يقوله الشيخ إبراهيم إنياس في الأبيات التالية:

محمد محمود المقام منبأ وآدم طين والبشير نذير
كلام قديم ليس حرفا وإنه لوحي وباري العالمين مشير
ولا إسم ولا فعل فرّق كلامه عن السمع والتعبير وهو زبور
بل أمر مضى مستقبلا كان لم يكن يضارع وحي الغير وهو خبير[١٧]

يمدح الشاعر حبيبه صلى الله عليه وسلم، يضيف اليه صفات المجد والشرف التي خصه الله تعالى بها، فهو مختار الإله وصفيه، أرسله بشيرا ونذيرا.

محمد مختار الإله صفيه ومن عنده قد جاء وهو بشير

ثم استطرد إلى وصف كلام الله تعالى على أنه كلام قديم ليس اسم ولا فعل ولا حرف، وإن كان يتضمن أوامر تطلب تنفيذها، إما أنها مضت في الأمم السابقة أو هو أمر مستقبل يراد الإتيان به في حينه.

فالشاعر لجأ في بعض الأحيان إلى الذوق كمرجع أساسي لإفصاح عما ما تنطوي اليه سريرته، وساعده على ذلك آليات لغوية، مما يدل على عبقرية الشاعر وتبحره في العلوم العربية، استمع إليه في هذه الأبيات وهو يقول:

فكسّر أصناما بفتح وضمنا إلى حزبه جزما وتم سرور
فقسم برفع خصه بنيابة وآخر مخفوض وذاك جزور
تعرّف فيه الحق وهو منكر وهو مبتدأ الكونين وهو أخير
فإني به الموصول وهو إشارتي به وإليه فالمشير منير

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

هو الفاعل المرفوع بالضم نائبا عن الحضرة العليا وهو جدير (١٨)

استخدم الشاعر هذه المصطلحات النحوية كرمز وتلويح بمعان روحية عميقة، وهو يصور حالات صوفية وجدانية، وإن كان يبدو من خلال ظاهر النص، أن الشاعر يتحدث عن فتوحات النبي عليه الصلاة والسلام، حيث أبلى فيها بلاء حسنا، بِيدِ أن المعاني الروحية الباطنة في هذه الأبيات تخص بعض القوم بفيوضات ربانية، حيث أن الله تعالى تولى أمرهم، فكسر أصناما أي كل ما يصرف الإنسان عن طاعة الله تعالى من هوى النفس، وحب الدنيا، وغواية الشيطان، فمن عليهم أيضا بالفتح الذي هو – عند الصوفية – فتحة القلوب وتنقيتها من الكروب بمفاتحات الغيوب.(١٩)

ثم تعقب على هذا الفتح بذكر خصلة أخرى وهي ضم الله تعالى إياهم، وهي إشارة أخرى إلى ضم النفس وكفها عن حظوظها وهواها بلجام المجاهدة والمخالفة، فيرتفع الصوفي إلى مقام المشاهدة.(٢٠) فلما ظفروا بهذه العناية من الله تعالى تحققوا واتصلوا بحزبه عليه الصلاة والسلام، التي هي غايتهم القصوى، فجزموا جزما روحيا، واستطاعوا حذف جميع العلائق، وسكنوا تحت جريان أحكام الحقيقة من غير إخلال بشيء من آداب الشريعة.[٢١] ويقال "الجزم بشهود الحق حذف علائق القلب وشواغله، فلا يبقى إلا قلب مفرد، فيه توحيد مجرد، وقد جعل الهموم هما واحدا، فكفاه الله هم دنياه، وضمن له عاقبة أخراه". (٢٢)

فقسم برفع خصه بنيابة وآخر مخفوض وذاك جزور
تعرف فيه الحق وهو منكر وهو مبتدا الكونين وهو أخير

عبر الشاعر بهذين البيتين عن تجربة صوفية، فقسم الخلائق إلى فئتين، فئة آمنت بالرسول واتبعوا النور الذي جاء به، فنجت وارتفع قدرها وشأنها عند الله تعالى، بينما هلكت فئة أخرى لعدم إيمانها بالرسول، فرمز بالفئة الأولى بالرفع (فقسم برفع) والآخر بالخفض (وآخر مخفوض).

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (p) 1118-3365 / ISSN (e) 2695-2343

بينما توحي المعاني الباطنة أن (الرفع) في البيت يأتي على معنى رفع الهمم إلى الله تعالى، ويأتي أيضا – عند الصوفية – على صفات متنوعة، "... يكون (الرفع) بأن ترفع قلبك عن الدنيا وهو نعت الزهاد، وقد يكون بأن ترفع قلبك عن اتباع الشهوات والآمال الموبقة ، وهو نعت العباد، وأصحاب الأوراد والاجتهاد، وقد يكون بأن ترفع قلبك عنك، وتعتقد إنه لا يجيء منك شيء، وهذا نعت أصحاب الانكسار وأرباب الخضوع والافتقار".(٢٣)

أما كلمة (نيابة) في البيت، فمن إيحاءها الدعاء والرجاء من الشاعر، فلعله يرجو ويدعو من الله تعالى أن يكون من ضمن ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن العلماء هم الورثة الأنبياء.

أما الفئة الهالكة فوصفهم بالخفض (مخفوض) وأصله – عند الصوفية – الجهل، وقد ورد في كتاب خلاصة شرح ابن عجيبة قول الكوهيني: "الخفض وهو الذل والهوان، وعامله الجهل وارتكاب المعاصي واتباع الهوى".(٢٤)

يمدح الشاعر الرسول صلى الله علبيه وسلم في البيت الثاني، ويؤكد عقيدة الصوفيين من عدم إدراك الحقيقة المحمدية، فيقول لا يعرف حقيقته صلى الله عليه وسلم إلا الله وحده، أما الخلائق فقد خفي عليهم هذه الحقيقة. ومن خصوصيته عليه الصلاة والسلام أنه جاء أخيرا نبيا مرسلا، وهو مقدم على جميع الخلق .

ولعل الشاعر يرمز بهذه الجمل إلى أن الرسول تعرف عند الخلق بالمعجزات الحسية والمعنوية، فشخصيته تشبه صفة المشبهة باسم الفاعل، والحال أنه صلى الله عليه وسلم تنكر عليهم، إذ المعرفة على حسب تأويل الصوفية تأتي على معنى "... المعرفة ظاهرة بما استدل عليها بعلامتها، والنكرة باطنة بما أبهم من خفي مشكلاتها، فلذلك سبحانه وتعالى تعرف إلى خلقه بآياته ومصنوعاته، فكان هو الظاهر، ثم تنكر بعزيز ذاته، فكان هو الباطن".(٢٥)

وعلى هذه النتيجة صار الرسول عليه الصلاة والسلام مقدم في الخلق ومؤخرا في الإرسال والإبلاغ، فجمع بين المزيتين، فأعطى الأعلى للأعلى، إذ المبتدأ والخبر في المصطلح الصوفي يأتي على "المبتدأ أعطى رتبة التقدم، لتجرده عن العوامل

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

اللفظية، فاستحق أن يبتدأ به، وأعطى من الإعراب حكم الرفع، لأنه مقدم على النصب والجر، فأعطى الأعلى للأعلى".(٢٦)

فإني به الموصول وهو إشارتي به وإليه فالمشير منير

اختصت بعض الكلمات العربية لتعلقها بغيرها في إفادة المعنى، فلا تفيد معنا تاما إلا إذا اقترنت بغيرها، ومن بين هذه الكلمات اسم الموصول الذي لا تتم الفائدة بذكره وحده إلا بعد تعلقه بصلته، فكلمة (ما) و(من) و(الذي) وغير ذلك من الأسماء الموصولة، لا تستقل بمعنى وحدها أبدا إلا بعد إيرادها في النظم.

فإذا كان اسم الموصول الموصوف بتلك الصفة لا حول له ولا قوة في استقلاله فإن الشاعر يشبه اسم الموصول أمام محبوبه صلى الله عليه وسلم، فهو الموصول، والنبي صلى الله عليه وسلم هو صلة الموصول، فلا حيلة ولا تدبير له. فالصوفية يؤولون اسم الموصول على أنه "... من الناس من لا يستقل بتدبيره، ولا يكون له بدٌّ من غيره، ثم إن أراد الله به خيرا منَ عليه طريق المخلوقين، وفتح عليه طريق شهود الحق".(٢٧)

وكان الشاعر ممن يتبع سنن العرب الفصحاء حينما لاحظوا إنكار منكر عليهم أو سؤال من يتردد في الأمر، فيقتضي الحال والمقام رد الفعل بما يناسبه من الحكم، فبعد توكيد الشاعر في البيت على تعلقه بمحبوبه اتبع ذلك بتوكيد آخر، فعبر بالضمير المنفصل (هو) في البيت الثاني، دفعا لهذا الإنكار.

فكما أن الفاعل هو العامل الحقيقي للفعل مستحق للرفع أو بما ينوب عنه ، فإذا وجود الفاعل، فلا وجود لنائبه ولا عمل له، فكذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الفاعل الحقيقي لتصرفات الشاعر، وقد تولى أمره، مما سيّره بأن يكون نائبا عنه.

هو الفاعل المرفوع بالضم نائبا عن الحضرة العلياء وهو جدير
وقد شغل الهادي جمال الإله فلازمه طول الزمان حضور
فإحسانه والحسن فيه تنازعا وسبحان من ما شا عليه قدير

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

ولم يزل يصور حالته وعدم سيرورته أمام محبوبه صلى الله عليه وسلم مستخدما مصطلحات نحوية ذات معان ظاهرة، وأُخَر متشابهة، طيا لأسرار روحية وجدانية، قد تخفى على الخواص فضلا على العوام، يقول في ذلك:

ترى كل مفعولي بفعل محمد وحالي وتمييزي إليه يشير
أضيف إليه كل نعت مؤكدا ذمامي وعطفي والأمين مجير
فجمعي وتصريفي لحب محمد وفيه بيوعي هل تراه يبور

يبدو من إيحاء معاني هذه الأبيات أن الشاعر يحاول الإفصاح عما يجود ويفيض عليه حبيبه من الفيوضات الربانية والتي يفتخر بها.

إذا عدد الأقوام يوما وفاخروا فخارا فإني بالأمين فخور

شبه الشاعر نفسه بالمفعول به الذي يقع عليه فعل الفاعل، فجميع تصرفاته كانت نتيجة فعل المصطفى عليه السلام، فهي مستعملة بعامل "كل ميسّر لما خلق له". فالمفعول به عند الصوفية يأتي على "... الاسم المنصوب بجريان المقادير عليه، لم يبق له تدبير ولا اختيار، وهو الذي يقع به الفعل مع الله، وهو آلة لفعله".(٢٨) ويأتي على معنى أيضا "... الذي تحقق فناؤه، وكمل بقاؤه بالله، فغاب عن وجوده ووجود فعله، فهو مفعول به في كل ما يفعل ويذر، ليبس له عن نفسه اختبار ولا مع غيره الله قرار، فعله بالله ولله ، وتركه بالله ولله ".(٢٩)

ثم أكد هذا التسليم الكلي لله تعالى ولرسوله عليه السلام فينص على أن أصله (جمعي) وفرعه (تصريفي) وحاله (حالي) وتمييزه (تمييزي) من فيوضات الرحمان والتي يفيض به الرسول عليه السلام، فهو لا يطلب الشاعر شيئا من أحد سوى رسول الله حبيبه.

ولكنه جار محب وخادم بفضلك ها هو بالعطاء جدير
فليس يبالي من سواك أما درُ أم البرمكي أو ذو غنى وفقير
فسيان عندي ذان لم أرج غيره منال حبيبي يستمر يدير

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

انتهز الشاعر الفرصة السانحة ليقترن مدحه لحبيبه مع شكره لله وإجلاله لله تعالى مستطلبا المزيد، ((لئن شكرتم لأزيدنكم))، إذ (الحال) هو وارد يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها".(٣٠) والتميز "لا يكون العارف عارفا (بالله) حتى يحصل له التميز بين الضدين اللذين وقع بهما التجلي، فيتميز بين الربوبية والعبودية في مظهر واحد، وبين الروحانية والبشرية، وبين الحس والمعنى".(٣١) فهذه المعاني الروحية المذكورة في تلك الأبيات من النعم التي أنعم الله تعالى بها على الشاعر، فيكون ذكرها في هذا المقام تحدثا بنعمة الله تعالى، ((وأما بنعمة ربك فحدث)).

ونختتم هذه المقالة بما قاله الشاعر في ديوانه – تيسير الوصول إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم –:

فإن تسألوني عن حبيبي وسيدي	فطه حبيب الله ما الغير ما وما
فوقتي وساعاتي صرفت لذكره	صلاة ومدحا منه قد صرت جيلما
فآثرت حب المصطفى دون غيره	ولو أم كلثوم ولو كان مريم
فوالله ما في القلب حظ لغيره	فغير رسول الله ليس لتعلما(٣٢)

الخاتمة

تناولت الورقة إنتاج شخصية عالمية صوفية، نشأت في غرب إفريقيا، جمعت بين الشريعة والحقيقة، أو قل اغترفت وزودت بالعلوم اللغوية والشريعة والعلوم الوجدانية، أبرزت الورقة مزايا هذين العلمين حسب معنى الظاهر وتأويله من خلال أسلوب الديوان، ودرست هذه المصطلحات بمنظار الصوفية، إذ أنهم استخدموها وأرادوا بها معاني روحية نفسانية. وأخيرا حصلت الورقة على النتائج الآتية:

- إن الشيخ إبراهيم إنياس ممن أوتي حظ وافر في العلوم اللغوية والسلوك الصوفي.
- إن ديوان الشيخ في المديح النبوي كان من أمهات الكتب، ومصدر من مصادر الدراسة الأدبية .
- سعة الكلمات العربية في رحاب المعاني اللغوية أو الاصطلاحية مما أتاح للصوفية أن يؤولوا الألفاظ أو الجمل.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

- اعتمد الصوفية– في كثير من الأحيان – على الذوق كمرجع أساسي لافصاح عما تنطوي عليه شعورهم وسلوكهم، فاستخدموا لأجل ذلك الرمز والإشارة والتلويح لغرض صوفي.
- يبدو أن تعبيرات الصوفية قد تخفى – غالبا – على بعض الخواص، فضلا عن العوام غير الصوفية.

الهوامش والمراجع

١- محمد الناصر آدم (الإمام): الشيخ إبراهيم إنياس، الداعية العالمي، وبعض المحاضرات، مطبعة مي نصر، بدون بيانات النشر، ص: ٣٩.

٢- مقري، إبراهيم أحمد: الصورة الشعرية عند الشيخ إنياس الكولخي، بحث علمي مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، تكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، ٢٠٠٩م، ص: ١٦.

٣- محمد الناصر آدم: مرجع سابق، ص: ٤٠.

٤- المرجع نفسه.

٥- مقري، مرجع سابق، ص: ٢٤.

٦- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، بيروت، ج/١، مادة (عني)

٧- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، بيروت، ج/١، مادة (أول) .

٨- حاشية السيد الشريف علي بن محمد على كتاب الكشاف للزمخشري، دار الفكر، ج/١، بدون تاريخ وعدد الطباعة، ص: ١٨.

٩- المرجع نفسه.

١٠- طاهر لون معاذ: التأويل العرفاني للنصوص الأدبية عند الشيخ أبي بكر عتيق سنك: كتاب إظهار الميس في أبيات امرئ القيس نموذجا، ص: ١.

١١- شريف هزاع شريف، رئيس رابطة إحياء تراث الشيخ الأكبر: المعنى والتأويل في الخطاب الصوفي عند الحلاج، بدون بيانات النشر، ص: ٩.

١٢- المرجع نفسه.

١٣- رشد علي حسن: المرأة في شعر ابن الفارض، دراسة في الرمز الشعري، مجلة دراسات الأردن، المجلد ٢٨، العدد ١، ٢٠٠١م، ص: ٧٤.

١٤- لمزيد من البيان، راجع: حماد صمود: الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، دار التونسية للنشر، ١٩٨٨م، ص: ١٤١-١٤٢.

"مالم" مجلة الدراسات العربية (سلسلة جديدة) العدد الثاني، ٢٠١٩م ISSN (e) 2695-2343 / ISSN (p) 1118-3365

١٥- راجع: شوقي ضيف (الدكتور): فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، ط/٣، ١٩٨٨م، ص: ٢٠٩-٢١٠.

١٦- الشيخ عبدالقادر الكوهيني: خلاصة شرح ابن عجيبة على متن الآجرومية في التصوف؛ بدون بيانات النشر، ص: ٢٩. وتلخيص العبارات في نحو أهل الإشارة، للشيخ عز الدين عبدالسلام المقدسي دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٢م، ص: ٢٧.

١٧- إنياس، ابراهيم الكولخي، ديوان مناسك أهل الوداد، ص: ١٦٤.

١٨- المرجع نفسه، ص: ١٦٥.

١٩- القشيري، أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن: نحو القلوب، بدون بيانات النشر، ص: ١٦.

٢٠- الكوهيني، الشيخ عبدالقادر، خلاصة شرح ابن عجيبة على متن الآجرومية في التصوف، بدون بيانات النشر، ص: ٣٢.

٢١- القشيري، نحو القلوب، مرجع سابق، ص: ١٠.

٢٢- الكوهيني: خلاصة شرح ابن عجيبة، مرجع سابق، ص: ٤٠.

٢٣- القشيري، نحو القلوب، مرجع سابق، ص: ٩.

٢٤- الشيخ عبدالقادر: خلاصة شرح ابن عجيبة، مرجع سابق، ص: ٢٩.

٢٥- المرجع نفسه، ص: ٢٧.

٢٦- المقدسي، عز الدين عبدالسلام بن أحمد: تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة، تحقيق خالد زهري (الدكتور)، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٢م، ص: ٢٦-٢٧.